



# العلامة المجدد والداعية المصلح

## الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وأثره في الحفاظ على تراث العربي والإسلامي

د.أحمد عيساوي

جامعة باتنة - الجزائر

كتاب

اضطلع الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بمجهود فقهي وفكري وثقافي وتراثي ودعوي وتربوي عظيم في الجناح الغربي للعالم الإسلامي، وأفني حياته كلها في سبيل إحياء التراث العربي الإسلامي والحفظ عليه، وتمثل جهده التراثي في المكاسب العلمية العظيمة الآتية:

- ٤- تشكيله حلقة وصل بين مصطلحات علوم الأقدمين ومفاتيحها، وتقديمها لجيل العلماء اللاحقين.
- ٥- حفاظه - المادي والمعنوي - على العلوم الدينية والعربية من الضياع والاندثار.
- ٦- تشكيله حلقة وصل في سند صحيحي الإمامين البخاري ومسلم، وموطأ الإمام مالك.
- ١- هضمه لتصنيفات الأقدمين وعلومهم واستواؤه التام عليها.
- ٢- تأليفه *الجليلة في فهم علوم الأقدمين* وصياغتها، وإعادة تشكيلها بالمنهجية العلمية الحديثة.
- ٣- استدراكاته على الأقدمين في مجالات التفسير والحديث والفقه والأصول والمقاصد واللغة...

الاهتمام والتنافس الاستعماري بين فرنسا وبايطاليا، ولا سيما بعد أن تمكنت فرنسا من السيطرة الكلية على الجزائر، وتمكنت أيضاً من إخضاع الجزائريين التائرين عليها، فأرادت أن تضمن الهدوء والاستقرار لحدود مستعمرتها الجديدة من ناحية الشرق، ففكرت باحتلال تونس، ممهدة لذلك بدعوى حماية الرعايا الأجانب، ولا سيما التجار اليهود الذين خافوا فقدان أموالهم، فوضعت الرقابة أولًا على الخزينة التونسية بحجة ضمان حقوق الرعايا الأجانب، إلى أن تم لها وضع تونس تحت سلطتها سنة 1881 م بمعاهدة الحماية المذلة<sup>(٢)</sup>.

وقد شهدت تونس - في الحقبة التي ولد فيها الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وعاش وتربى - حقبة اضطرابات وفوضى سياسية، ولا سيما بعد فرض بنود معاهدة الحماية المذلة عليها، وضعف الخلافة العثمانية عن حمايتها، وتنافز الأمراء على الحكم، كما شهدت فساداً إدارياً بسبب فساد حكام الأقاليم والمقاطعات وجورهم على الرعية الفقيرة، وبسبب تولية الحكام الفاسدين مقايد الولايات، فكثرت الفتن والآفات والأمراض الاجتماعية المختلفة كالسرقة والرشوة وقطع الطرق وتهديد التجارة، بسبب فقدان الأمن وضياع الاستقرار، الذي لم تستطع حكومات الباي المتعاقبة فرضه في البلاد، وانهيار الاقتصاد، وغلت الأقوات وندرت، وترجعت التجارة بسبب الاضطرابات والفسق والفتنه، وعمَّ الجهل، وسيطرت الخرافات والأباطيل والبدع على أذهان العامة، كما سيطرت الطرق الصوفية ورجال الزوايا على عامة الناس وسلبتها أموالها باسم الدين، وتفشت الأمية بين أفراد الشعب التونسي،

ـ اجتهاداته وأضافاته الجليلة في علمي التفسير ومقاصد الشريعة الإسلامية والفقه والأصول واللغة.

ـ إصلاحاته الاجتماعية والتربوية والأخلاقية والثقافية المتعددة.

ـ محنته وجهاده في سبيل الدفاع عن الإسلام، ويسعني في هذه الدراسة إلى عرض نشاط الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور المهم في الحفاظ على التراثين العربي والإسلامي، وتبيان خدماته الجليلة لهما.

### **بيئته وظروف عصره:**

عاصر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور أسوأ حقبة مرت بها الأمة العربية والإسلامية، سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ودينياً وثقافياً... هذه الحقبة العصيبة التي غدت فيها أقطار العروبة والإسلام مستعمرات أو محميات تابعة للقوى الاستعمارية الكبرى، وقد آل وضعها السياسي والعسكري والأمني المتردي بعد أن تهافت الواحة تلو الأخرى بيد القبضة الاستعمارية منذ سقوط غرناطة سنة 1492 م، وضياعها من يد العرب المسلمين في غرب العالم الإسلامي، ومع بداية الكشوفات الجغرافية شرقاً وغرباً، وما رافقها من تسابق استعماري حيث لاحتلال بلاد العرب والمسلمين واستعمارها، من سمرقند وبخارى وجاكارتا شرقاً، إلى غرناطة وفاس وتمبكتو غرباً، ولم تبق حرة مستقلة سوى بعض الممالك والإمارات الضعيفة، أو بعض المقاطعات التابعة اسمياً للخلافة العثمانية الضعيفة<sup>(١)</sup>.

وكانت تونس أيضاً قد بدأت تشهد نوعاً من

والشاذلي بن فرات)، والثانية من يوم ٩ سبتمبر إلى ٢٤ منه...<sup>(١)</sup>.

٢- حركة تنوير {المنار} في القرن الرابع عشر الهجري، العشرين الميلادي بقيادة الشيخ محمد عبده، وتلميذه الشيخ السيد (رشيد رضـ ١٢٨٢ - ١٨٦٥ هـ / ١٩٣٦ م)، وزياراته المتعددة لأقطار العالم الإسلامي والغربي: لبنان ١٨٨٤-١٨٨٢ م، وفرنسا سنة ١٨٨٣-١٨٨٩ م، وتركيا سنة ١٩٠١ م، والجزائر سنة ١٩٠٣ م، والسودان سنة ١٩٠٥ م.<sup>(٢)</sup>

٣- حركة التنوير الدينية في المغرب العربي في الجزائر، بقيادة {الشيخ صالح بن مهنى، وعبد القادر المجاوي، وعبد الحليم بن سمایة، ومحمد بن مصطفى الخوجة، وأبى القاسم الحفناوى، ومحمد بن أبى شنب، والطاهر بن زقوطة، وحمدان الونىسى، و(جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ١٩٢١-١٩٥٦ م)} بقيادة الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمى، والعربى التبسى).<sup>(٣)</sup>

٤- حركة التنوير الدينى والإصلاحى بتونس، بقيادة الشيخ (إسماعيل التميمي ١١٦٥-١٢٤٨ هـ / ١٧٥٢-١٨٢٢ م)، والشيخ (محمود قبادو ١٢٢٩-١٢٨٨ هـ / ١٨٠٢-١٨٦١ م)، والوزير الأول (خير الدين باشا التونسي).<sup>(٤)</sup>

٥- حركة التنوير الدينى في ليبيا، بقيادة الشيخ (أحمد زارم الطرابلسي).<sup>(٥)</sup>

٦- حركة التنوير الدينى في المغرب الأقصى، بقيادة الشيخ (محمد الحجوى الشعالي الفاسي)، والشيخ (محمد بن المدى كنون)،

وعمّ الخراب والفساد سائر البلاد التونسية سياسياً وأمنياً وإدارياً وقانونياً واجتماعياً واقتصادياً ودينياً وثقافياً...<sup>(٦)</sup>

وفي ظل هذه الأوضاع والظروف المتردية ولد ونشأ وتربى وتعلم وتكون ودعا ووعظ وأرشد وكتب وناظر... الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، رحمة الله.

### عوامل النهضة التونسية الحديثة:

وبسبب تردي الأوضاع وخطورتها على الوجود الحضاري العربى والإسلامي انبرت الحركات الإصلاحية التنويرية هنا وهناك، تحرك الهمم، وتوقف الضماير، وتلهب الحماسة، وتثير الطريق في تونس وفي العالم العربى والإسلامي، فاجتمعت عوامل النهوض الداخلية، والخارجية؛ لتصنع الرجال المصلحين، والعلماء المجددين أمثال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الذي ما كان ليبرز لولا العوامل التنويرية الآتية:

١- حركة التنوير الأفغانية العبدية في القرن الثالث عشر الميلادي، بقيادة السيد (جمال الدين الأفغاني ١٢٤٥-١٢١٤ هـ / ١٨٢٩-١٨٩٧ م)، وتلميذه الشيخ محمد عبده ١٢٦٥-١٢٢٢ هـ / ١٨٤٩-١٩٠٥ م) مفتى الديار المصرية، ولاسيما بعد زيارته الأولى لتونس، التي امتدت من يوم ٦ ديسمبر إلى يوم ١٤ جانفي ١٨٨٥ م، ودعوته لتأسيس جمعية (العروة الوثقى)، التي كان منها الجمع الغفير من علماء تونس: {محمد بيرم الخامس، ومحمد السنوسى، ومحمد النجار، وسالم بو حاجب، وأحمد الورتاني، ومحمد الطاهر جعفر، وحسونة مصطفى،

إلى جده الأول (محمد بن عاشر)، الذي ولد بمدينة (سلا) بالغرب الأقصى بعد خروج والده من الأندلس فاراً بدينه من قهر محاكم التفتيش وقمعها، الذي توفي سنة ١١١٠هـ، وقد عُرف في تونس بعلمه وفقهه وشجاعته، وسمّي باسمه تبركاً به<sup>(١٤)</sup>.

ولد الشيخ (محمد الطاهر ابن عاشر) بمدينة تونس سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م، بقصر جده لأمه الصدر الأعظم (محمد العزيز بوعتور)، وفي هذا البيت الشريّ العليّ تربى ونشأ بين أحضان أب يتطلع لأن يشابه جده العالم الفقيه، وجد وزير يرعاه ويوفّر له كل أسباب الحياة الكريمة، ويحرص أن يتمكّن من أسباب العلم والجاه والسلطان<sup>(١٥)</sup>.

بدأ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشر حياته العلمية كسائر أبناء جيله بحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ المقرئ (محمد الخياري) بمسجد (سيدي أبي حديد) المجاور لبيتهم بنهج البasha، ثم حفظ المتون الأولى، التي تمكّنه من مبادئ العلوم العربية والدينية، والتي ستقدمه لدخول جامع الزيتونة على يد الشيخ (أحمد بن بدر الكايف)<sup>(١٦)</sup>.

وما بلغ السادسة عشرة من العمرتحق بجامع الزيتونة سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، ودرس فيه العلوم والكتب الآتية، وناظر فيها وهي:

- ١- شرح الجمع.
- ٢- شرح منظومة العوام.
- ٣- شرح الرحيبة.
- ٤- شرح الجوهرة .

والشيخ (محمد المهدى الوزانى ١٣١٢هـ / ١٩٢٣م)<sup>(١٧)</sup>.

٧- حركة التنوير الدينى في موريتانيا، بقيادة الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي)<sup>(١٨)</sup>.

٨- تأثير المقالات والكتابات التي كان يدّبّجها الشيخ (شكيب أرسلان ١٢٨٧ - ١٣٦٦هـ / ١٨٦٩-١٩٤٦م) في الصحف العربية والعالمية، ولا سيما كتابه الشهير {لماذا تأخر المسلمين ولماذا تقدم غيرهم}<sup>(١٩)</sup>.

٩- تأثير الحركة الصحفية والأدبية الحرة في البلاد التونسية.

ولقد أجمل الشيخ محمد الفاضل ابن عاشر أسباب النهضة التونسية الحديثة في أربعة عوامل رئيسة، هي:

١- إنشاء المدارس الصادقة - نسبة للصادق باي، حاكم تونس.

٢- تنظيم التعليم الزيتوني وتطويره وتحديثه.

٣- إنشاء المكتبات والمراکز الفكرية والثقافية، التي كانت ملتقى للنخب والمتّقين .

٤- تشجيع حركة الطباعة والنشر والصحافة<sup>(٢٠)</sup>.

وكانت تونس تشهد وقتها انبعاث حركة فكرية وثقافية وأدبية وإعلامية وسياسية... أدارها رجال النهضة التونسية الحديثة أمثل: الزعيم السياسي عبد العزيز الثعالبي، وسالم بوحاجب، وعلى بوشوشة، ومحمد البشير صفر، وعبد الجليل الزاوش، وباش حانبة<sup>(٢١)</sup>.

### أصله وموالده ونشأته وتعلمه:

يعود أصل الشيخ (محمد الطاهر ابن عاشر)

- ٥- السلم المروني في علم المنطق.
- ٦- شرح الخلاصة.
- ٧- شرح الحل.
- ٨- شرح نهج البردة.
- ٩- شرح الشافية.
- ١٠- شرح بلوغ المرام.
- ١١- شرح الدرة.
- ١٢- شرح القطر.
- ١٣- شرح المكودي على الألفية.
- ١٤- الموطأ.
- ١٥- شرح الكافية.
- ١٦- تفسير البيضاوي.
- ١٧- شرح سيدى خليل.
- ١٨- الحماسة.
- ١٩- المقاصد.
- ٢٠- شرح جمع الجواب.
- ٢١- المقولات الخمس.
- ٢٢- شرح سيدى خالد.
- ٢٣- مسند الإمام مسلم.
- ٢٤- فتح الباري على صحيح البخاري.
- ٢٥- قطف الثمر الدانى.
- ٢٦- الدهنوري على السمرقندية.
- ٢٧- مفتاح العلوم بشرح السكاكي.
- ٢٨- المزهر للسيوطى.
- ٢٩- المثل السائر لابن الأثير.
- ٣٠- العقاد النسفية.
- ٣١- العقاد العضدية بشرح سعد التفتازاني.
- ٣٢- المواقف للعهد الإيجي.
- ٣٣- شرح الدردير وميارة على المرشد.
- ٣٤- الكفاية على الرسالة.
- ٣٥- التاودي على التحفة.
- ٣٦- الشفاء للقاضي عياض بشرح الشهاب الخفاجي.
- ٣٧- المقدمة.
- ٣٨- الخطاب على الورقات.
- ٣٩- التنقيخ للقرافي.
- ٤٠- المحلي للسبكي.
- وقد درس علوم: المنطق والتوحيد، والقراءات، والفقه، والأصول، والسير، والحديث، واللغة، والأدب، والإنشاء، والحساب، والتاريخ، والجغرافيا.. وسائر علوم عصره<sup>(١٧)</sup>.
- عوامل نبوغه:**
- شكلت جملة من العوامل شخصية الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، أهمها:
- ١- مواهبه وقدراته وذكاؤه وصبره وعزيمته الصلبة لطلب العلم.
  - ٢- موقع بيئته الأسرية والاجتماعية والثقافية المتميزة لجدّيه، جده لأمه، وجده، لأبيه، وكذلك أبوه.
  - ٣- أوضاع تونس وظروفها المختلفة الإيجابية والسلبية معاً، وتأثيرهما البليغ فيه.
  - ٤- تعدد شيوخه وأساتذته، وتأثره الشديد بمناهجهم وتتنوع تخصصهم.
  - ٥- انتسابه إلى جامع الزيتونة، وتردداته على المدرسة الصادقية والخلدونية<sup>(١٨)</sup>.

١٩١٠م، والثانية سنة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م، ثم مديرًا لجامع الزيتونة سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م، وشيخ الإسلام المالكي في السنة نفسها، ثم أعيد تعيينه رئيساً لجامع الزيتونة سنة ١٣٤٦هـ / ١٩٤٥م، ورئيسة الجامعة الزيتونية سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٦م.

ثم تولى القضاء والإفتاء بعضويته في المجلس الأعلى للأوقاف وحاكمًا أولًا بالمجلس المختلط العقاري سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، ثم قاضياً للجامعة من سنة ١٣٢١هـ / ١٩١٣م إلى سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م، ثم عين مفتياً للديار التونسية سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م، وظل كذلك إلى سنة ١٩٧٣م.

وصار عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٠م، وعضوًا مراسلاً للمجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٥م<sup>(٢٠)</sup>.

#### شخصيته وأخلاقه:

اتصف الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بأخلاق علماء السلف الربانية الفاضلة، فقد أجمع جميع أصدقائه وتلامذته على سمو أخلاقه وعراقة شخصيته وكرمه وبنبله، وأهم صفاته وأخلاقه:

١- جديته في تأدية الواجبات ومثابرته، وعدم تساهله وتسامحه فيها.

٢- طموحه وهمته وتشامخه وتطلّعه الدائم لمعالي الأمور.

٣- صفاء طويته ونقائه سريرته وصدقه الداخلي والسلوكي.

٤- هيبته الساطعة ووقار شخصيته الربانية الصادقة.

٦- تأثيره الشديد بالمنهج الإصلاحي الذي خطه الشيخ محمد عبد عبده عندما زار تونس في المرّة الثانية سنة ١٩٠٣م.

٧- علاقته الوطيدة بالشيخ شبيب أرسلان وبالسيد رشيد رضا، وإعجابه بنظرتهما الإصلاحية.

٨- مواكبته للحركة العلمية والفكرية والثقافية العربية والإسلامية<sup>(٢١)</sup>.

٩- رحلاته العلمية والدينية والثقافية المتعددة، فقد جاب كل أصقاع القطر التونسي، كما زار الجزائر والمغرب ولبيبا وأغلب بلاد الشرق العربي وأستانبول وأوروبا، كما شارك في المئات من الملتقيات والمؤتمرات العربية والإسلامية العالمية<sup>(٢٢)</sup>.

#### وظائفه العلمية والشرعية:

بعد أن تخرج الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في الجامع الأعظم سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م، ودرس سنتين على عادة الطلبة المتخرجين في الزيتونة، وفاز سنة ١٩٠٣م في مناظرة التدريس من الطبقة الثانية بدلاً من الشيخ (محمد النحلي القيرناني) (٢٣) الذي انتقل للتدريس في الطبقة الأولى ١٩٢٥م، وفي سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٥م فاز في مناظرة التدريس في الطبقة الأولى، وصار رئيس علماء المذهب المالكي في جامع الزيتونة وتونس كلها<sup>(٢٤)</sup>.

كما سُمي مدرساً بالمدرسة الصادقية سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٤م، ثم عضواً بمجلس إدارتها سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٩م، ثم عين نائباً في نظارة جامع الزيتونة سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م، ثم عضواً في لجنة إصلاح جامع الزيتونة الأولى سنة ١٣٢٨هـ /

- ٩- رد على كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق.
- ١٠- فتاوى ورسائل فقهية.
- ١١- التوضيح والتصحيح في أصول الفقه.
- ١٢- النظر الفسيح عند مضايق الأنوار في الجامع الصحيح.
- ١٣- تعليق وتحقيق على شرح حديث أم زرع.
- ١٤- قضايا شرعية وأحكام فقهية وأراء اجتهادية ومسائل علمية.
- ١٥- أمالى على مختصر سيدى خليل
- ١٦- تعاليق على المطول وحاشية السيالكوتى.
- ١٧- أمالى على دلائل الإعجاز.
- ١٨- أصول التقدم في الإسلام.
- ١٩- مراجعات تتعلق بكتابي معجز أحمد واللامع للعزيزى<sup>(٢٥)</sup>.
- ثانياً: مؤلفاته في العلوم العربية وأدابها:**
- ١- أصول الإنشاء والخطابة.
- ٢- موجز البلاغة.
- ٣- شرح قصيدة الأعشى في مدح الملحق.
- ٤- شرح ديوان بشار.
- ٥- الواضح في مشكلات المتنبي لابن جنى.
- ٦- سرقات المتنبي.
- ٧- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام.
- ٨- تحقيق فوائد العقيان لفتح بن خاقان مع شرح ابن زاكور.
- ٥- قوة حافظته، وسرعة بدريته، وغزاره علمه.
- ٦- لين جانبه، وعفة لسانه، وكرامة نفسه.
- ٧- حبه للعلم وخدمته لأهله من أساتذة وطلبة ومحبين.
- ٨- تجنبه الاشتغال في العمل السياسي أو الحزبي، وقصر مجهوداته على العمل العلمي والدعوي.
- وفاته:**
- توفي الشيخ العلامة محمد الطاهر ابن عاشور يوم الأحد ١٢/رجب/١٣٩٣ هـ الموافق ١٢/أوت/١٩٧٣ م، بعد حياة حافلة بالعلم والجد والدعوة والتأليف والتربيه والتعليم<sup>(٢٦)</sup>.
- مؤلفاته:**
- ترك الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور تراثاً أصولياً وفقهياً وفكرياً ولغوياً وأدبياً وثقافياً عظيماً، قل نظيره في علماء الإسلام في العصر الحديث، وأهم مؤلفاته ما يأتي:
- أولاً: مؤلفاته في العلوم الإسلامية:**
- ١- تفسيره التحرير والتنوير.
  - ٢- مقاصد الشريعة الإسلامية.
  - ٣- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.
  - ٤- أليس الصبح بقرب.
  - ٥- الوقف وأثاره في الإسلام.
  - ٦- كشف المفطى المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ.
  - ٧- قصة المولد.
  - ٨- حواشى على التنقىح لشهاب الدين القرائى في أصول الفقه.

- والصحف التي كان يجتبي فيها عن أسلحة الناس:
- ٨- مجلة المنار.
  - ٩- مجلة الرسالة.
  - ١٠- مجلة الرزمانة التونسية.
  - ١١- مجلة الثريا.
- ١- جريدة الزهرة - تونسية، لصاحبها محمد الصنادي.
- ٢- جريدة النهضة - تونسية، لصاحبها الشاذلي القسطلاني.
- ٣- جريدة الوزير - تونسية، لصاحبها ومؤسسها الطيب بن عيسى.
- ٤- جريدة الصباح - تونسية، لصاحبها الحبيب شيخ رححو.
- ٥- مجلة الفجر - تونسية، لصاحبها أحمد الصافي.
- ٦- جريدة الهدایة - مصرية، لصاحبها الشيخ محمد الخضر حسين، شيخ الأزهر.
- ٧- مجلة الهدایة - تونسية، تابعة لإدارة الشعائر الدينية بالوزارة الأولى<sup>(٢٧)</sup>.
- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور مفسّراً:**
- يُعرف الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بتفسيره الجليل: (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد) المختصر بتفسير (التحرير والتنوير)، وهو عمدة تفاسير أهل المغرب العربي في العصر الحديث بعد تفسير ابن عطية الأندلسى قديماً، وجاء تفسيره
- ٩- ديوان النابعة الذبياني (جمع وشرح وتعليق).
  - ١٠- تحقيق مقدمة في النحو لخلف الأحمر.
  - ١١- ترجم لبعض الأعلام.
  - ١٢- تحقيق كتاب الاقتضاب للبطليوسى مع شرح كتاب أدب الكتاب.
  - ١٣- جمع وشرح ديوان سعيم.
  - ١٤- شرح معلقة أمرى القيس.
  - ١٥- تحقيق لشرح القرشى على ديوان المتبنى.
  - ١٦- غرائب الاستعمال.
  - ١٧- تصحيح وتعليق على كتاب الانتصار لجالينوس للحكيم ابن زهر.
  - ١٨- شرح ديوان ابن أبي الحسحاس.
  - ١٩- مؤلفات أخرى في التراجم والتاريخ<sup>(٢٨)</sup>.
- ثالثاً، مقالاته في الدوريات المختلفة:**
- كما كانت للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور مساهمات عديدة في الدوريات والمجلات والجرائد التونسية والعربية والإسلامية، التي عالج فيها قضايا أمته، وأهم المجالات والدوريات التي كتب فيها:
- ١- مجلة السعادة العظمى.
  - ٢- مجلة المجلة الزيتونية.
  - ٣- مجلة هدى الإسلام.
  - ٤- مجلة مصباح الشرق.
  - ٥- مجلة الهدایة الإسلامية.
  - ٦- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
  - ٧- مجلة المجمع العلمي بدمشق.

٩- المقدمة التاسعة : في أن المعاني التي تتحمّلها جمل القرآن تعدّ مراده بها.

١٠- المقدمة العاشرة : في إعجاز القرآن<sup>(٢٦)</sup>.

### منهجه في التفسير :

يتبع الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره الخطوات الآتية :

١- يقدم السورة المراد تفسيرها بمقدمة جامعة مانعة شاملة، يذكر فيها اسم السورة، وما يتعلّق بها من قريب أو بعيد، ويدعم ذلك بالمروريات الواردة في موضوع السورة.

٢- تفسير الآيات آية آية، أو مجموعة مجموعة، وذلك متوقف على تناسبها وترابطها الموضوعي.

٣- تفسير الآية مستعيناً بالشروطات اللغوية وال نحوية والصرفية والبلاغية والبيانية والبدىعية، مع تبيّان معاني الألفاظ، والتركيز على استعمالاتها في حالتي الحقيقة والمجاز، وفي حالة تغيير حالاتها الإعرابية وتنوعها، وأثر ذلك في فهم النص، والنتائج المترتبة عليه في تحديد المراد، والمقصود من النص، مع الاستعانة بالشواهد الشعرية وكثرتها، وتوسيعه في شرح مفردات القرآن والغوص في أعمقها.

٤- تفسير الآية مستعيناً بالحقائق التاريخية والاجتماعية، من ذكره العادات والتقاليد والأعراف والفنون والمهن وأحوال الإنسان والمجتمع وال عمران، وسائل الابتكارات المعمارية والهندسية.

٥- تفسير الآية مستعيناً بالعلوم الكونية

الجليل هذا خلاصة للدروس التي كان يلقّيها في حلقات وأقسام الجامعة الزيتونية على طلابه، ثم يعيد نشرها في المجلة الزيتونية.

ويخالف الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رأي الأقدمين في التفسير، فهو لا يعده علمًا، كما هو الشأن لديهم، بل منبع العلوم ومصدرها؛ إذ تشتّرک فيه العديد من العلوم، فهو من ثم ليس علمًا بمقدار ما هو تجمع لحشد من العلوم المتعددة حول فهم النص القرآني وإنارتة، ومع تأكده من صواب رأيه جاري الأقدمين في عدّه علمًا تجنّباً للخلاف فيما لا فائدة فيه للمسلمين اليوم<sup>(٢٧)</sup>.

وكان من بين أهداف الشيخ الجليلة خدمة القرآن وتفسيره، وقد حقق الله له أمنيته تلك بما زوّده من الإرادة والعلم؛ لفهم كتابه وتفسيره، وقد بدأ الشيخ تفسيره بمقدمات توضيحية عشر خصصها لعلوم القرآن الجليلة، وتعرف بالمقدمات العشر، وهي :

١- المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل وكون التفسير علمًا.

٢- المقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير.

٣- المقدمة الثالثة : في صحة التفسير بغير المؤثر ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

٤- المقدمة الرابعة : فيما يحق أن يكون غرض المفسر.

٥- المقدمة الخامسة: في أسباب النزول.

٦- المقدمة السادسة: في القراءات.

٧- المقدمة السابعة: قصص القرآن.

٨- المقدمة الثامنة : في اسم القرآن وأياته وسوره وترتيبها وأسمائها.

١٤- تجنب الآيات مزائق التبعية الكلامية أو العقدية أو السياسية أو الفرعية أو غيرها، كما فعل الكثيرون من المفسرين الأقدمين، وجعلها خادمة للمذهب أو للنحلة أكثر من معناها وتفسيرها الذي تستحقه<sup>(٣٠)</sup>.

### **الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور محدثاً:**

أهل تونس مشهورون في المغرب العربي بالعناية المتميزة بالحديث النبوي الشريف، رواية وحفظاً وتدریساً وتلاوة وتبركاً واقتداء... ولهم في هذا المجال تاريخ وماضٍ عريق<sup>(٣١)</sup>.

والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور نشأ في بيئة تونسية تمجد الحديث النبوي الشريف، كما فتح عينيه في بيت أبيه وجده على وسط أيضاً، وكما تلقى دروسه وعلومه الأولى والعليا في جامع الزيتونة المعهور على أيدي أكابر الشيوخ من رواة الأحاديث وأصحاب الإجازات العربية في علم الحديث ومصطلحه، وأخذ عنهم الحديث علماً ورواية وإجازة وأذكاراً، وما حواه صحيح البخاري ومسلم والموطأ من فقه وأصول ومقاصد وتفسير عقيدة وتلاوة وأذكار وأدعية، وفي ظل هذه البيئة نشأ الشيخ ابن عاشور المحدث.

وقد حصل على الإجازة في رواية صحيح الإمامين البخاري ومسلم والموطأ وحفظها، بسندين إلى البخاري ومسلم ومالك بن أنس رضي الله عنهم أجمعين، مثبت في دفتر تخرجه الزيتوني.

وقد أجاز - رحمه الله - الكثير من علماء المغرب والجزائر وتونس، منهم شيخنا الجليل (العربي التبسي ١٨٩١-١٩٥٧م)، وشيخنا (محمد الطيب باشا التبسي ١٨٧٢-١٩٥٢م) أيضاً، وغيرهما<sup>(٣٢)</sup>.

الأخرى، كالفلك والطب والطبيعة والكيمياء والهندسة...

٦- تفسير الآية بربطها بسابقاتها ولاحقاتها، وتبیان الترابط المحکم بینها.

٧- عرض القضايا التي تتضمنها الآيات، فإذا كانت قضية عقدية استفاض فيها، عارضاً فيها سائر الأقوال والنقولات والمؤثرات، خالصاً فيها الرأيه، وإن كانت مسألة سياسية أو اجتماعية أو تربوية أو اقتصادية.. سرد فيها ما عنده من العلم الغزير في ذلك الفن؛ ليخلص في النهاية إلى فهم شامل لمراد الآية.

٨- سرده لتفسيرات الأقدمين وإيرادها، ولأقوالهم العديدة في الآية والمسائل الواردة فيها حسب مدارسهم ومناهجهم التفسيرية.

٩- استدراكاته القيمة على الأقدمين في تفسير الآية، وتبیان مواضع النسيان أو السهو أو الخطأ فيها، وطرح الرأي الأصوب الذي يراه مدعماً بالأدلة.

١٠- استخدام التعليل العقلي، والبرهان المنطقي، وفرض الفرضيات، والبرهنة عليه بعرض الحجج والأدلة.

١١- الخروج بالمعنى الإجمالي للآية أو الآيات.

١٢- التركيز على البعد الغائي والمقاصدي للنص الكريم.

١٣- التركيز على جوانب الإعجاز اللغوي والبلاغي والعلمي والكوني والسنني والاجتماعي والتنظيمي، وغيرها من مظاهر الإعجاز.. للقرآن الكريم.

جهة، ومن علم تخریج الفروع على الأصول من جهة ثانية، وتصدّى للفتوى من جهة أخرى، وكان من العلماء المجتهدين المجددين، الذين لا يرکنون للتقليد واتباع الأقدمين ومجاراتهم فيما ذهبوا فيه.

وقد عاب على علماء الإسلام، منذ توقف حركة الاجتہاد في القرن الخامس الهجري، تفريطهم وإهمالهم النظر في مقاصد الشريعة الغراء، والاقتصار على النظر في النصوص وأدلتها الظاهرية فقط، دون معرفة الغایات والمقاصد الربانية منه، على الرغم من ثنائه الكبير على الشیخین (أبی حامد الغزالی ت ۵۰۵ھ، وأبی إسحاق بن العربي ت ۶۲۸ھ)، اللذین أولیا العناية بهذا العلم الجليل، وتبعهما في هذا العلم الشیخ (أبی إسحاق الشاطبی ت ۸۷۳ھ)، الذي خصّه بفصل كبير من كتابه المواقف، أسماه بـ(التعريف بأسرار التکلیف)، مثیلاً على جهود الشیخ (العز ابن عبد السلام ت ۶۶۰ھ) مؤسس علم المقاصد بكتابه الجليل (قواعد الأحكام في مصالح الأنماط)، والشیخ (شهاب الدين القراءی ت ۶۸۴ھ)، الذي أعطى دفعاً جديداً في كتابه (الفرق) (۲۲).

ولكن الشیخ محمد الطاهر ابن عاشور كان يرى أن كل هذه الجهود قليلة أمام مكانة المقاصد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وفي سائر مصادر التشريع الإسلامي، التي أولته القدر الكافی، ومنحته المكانة السامية، ولكنّه لم يحظ بها ولم يتمتع كما يجب، ولذا وضع تصنیفه الشهير الموسوم بـ: (مقاصد الشريعة الإسلامية)، وقد قال في هذا: «... إن إهمال النظر إلى مقاصد الشريعة

والمتبع لتفسیره يجعله حافلاً بالأحاديث النبوية الشريفة، بدءاً من سبب النزول وتفسیر المأثور بالمروي والمأثور، وانتهاء بالأحكام والمعانی الإجمالية، وكثيراً ما كان يناقش ويحلل ويدقق النظر في السند والمعنى، مستخدماً منهج النقد الحدیثي الذاتي الداخلي في المتن، والخارجي في السند، كما كان يرد الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ولا يقبل إلا الأحاديث الصحيحة، ولا سيما الواردة في الصحيحين، أو الصحاح الأخرى، أو السنن، أو المسانيد، وقد ألف في سبيل ذلك العديد من المؤلفات التي سبق ذكرها.

وتآلیفه الكثيرة في علم الحديث تدل على طول باعه في هذا العلم، فقد كان منهجه في هذا العلم التشدد في الكثير من المسائل، منها أنه لم يكن يقبل الذين والتسامح بقبول الأحاديث الضعيفة، ولو كانت في باب الفضائل والمكارم، داعياً علماء الحديث، وكلَّ الآخذين على يديه هذا العلم، عدم الاشتغال بالسند أكثر مما اشتغل به الأقدمون، بل كان يحثّهم على الاهتمام بالمعنى وتحليله وفهمه، بناء على الثقافة الإسلامية والكونية الواسعة (۲۳).

### **الشیخ محمد الطاهر ابن عاشور مقاصدیاً:**

كما اشتهر الشیخ محمد الطاهر ابن عاشور بتفسیره التحریر والتنویر، الذي كان باب فتح في التفسیر الإسلامي الحديث، اشتهر أيضاً في علم المقاصد، وذلك بتألیفه وتصنیفه فيه، والاستدراك والتعليق والإضافة على ما فات الأقدمين فيه.

ويعود فضل اجتہاداته الرائدة في علم المقاصد كونه قد أخذ بحظ وافر من علوم أصول الفقه من

وترجح ونحو ذلك، وتلك كلها في تصاريف مباحثها بمعزل عن بيان حكمة الشريعة الفراء، ومقاصدها العامة والخاصة في أحكامها.. وإن وجدت حديثاً أو ذكرًا عن مقاصد الشريعة في كتب الأصول عن الأقدمين ففي الأبواب المهجورة، وفي أواخر كتب الأصول، لا يصل إليها المؤلفون إلا عن سامة أو ملل، ولا المتعلمون إلا الذين رزقا الصبر على الإدامة فبقيت ضئيلة منسية...»<sup>(٣٧)</sup>.

قرأ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور مسائل علم أصول الفقه، وتأكد من أنها نشأت بعد الفقه، وهذا ما جعل علم الأصول يوضع بهدف تأييد علم الفروع، مبيناً أن قواعد استنباط الفقهاء لم تكن كلها قوية ومتماضكة كقواعد علماء أصول الدين الحاسمة في توقيف المخالفين، وأما قواعد الأصوليين من الفقهاء فليست كلها قطعية، راداً بذلك على كل من ادعى غير هذا، كالإمام الجويني والمازري شارح الجويني والأبناري<sup>(٣٨)</sup>.

#### أقسام كتابه :

- قسم الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية على الأقسام الآتية:
- ١- القسم الأول: تضمن إثباتات مقاصد الشريعة، واحتياج الفقيه إلى معرفتها، وطرق إثباتها ومراتبها وحجيتها وأقسامها.
- ٢- القسم الثاني : تضمن المقاصد العامة في التشريع الإسلامي..
- ٣- القسم الثالث: تضمن المقاصد الخاصة بأنواع المعاملات المشار إليها فقهياً بباب فقه المعاملات.

موجب لتشعب الخلاف، سواء أكان الخلاف عالياً - بين المذاهب - أم نازلاً - في المذهب الواحد -، فإن تشيع تصاريف الأحكام يرشد الفقيه إلى مقاصدها، وفي سوابق السلف دلالة واضحة على عنايتهم بهذا، ولعله الداعي إلى وضع علم أصول الفقه....»<sup>(٣٩)</sup>.

#### كتابه الجليل : مقاصد الشريعة الإسلامية:

لعل الدافع الرئيس الذي حث الشيخ ابن عاشور للتأليف في هذا العلم الجليل، صعوبة الاحتجاج بين المختلفين، وعدم انتهاهم في حجاجهم إلى أدلة ضرورية تحسن الأمر بينهم<sup>(٤٠)</sup>.

وقد مهد الشيخ للدخول في هذا الإشكال ومناقشته وتحليله، ومن ثمة الخروج منه بالقول الفصل بالسؤال الآتي: «لماذا لا نكتفي بعلم أصول الفقه؟»، وأجاب عنه بقوله : «والجواب أن المطلع على أصول الفقه يرى واضحاً أن معظم مسائلة مختلف فيها، وقد أحدث الخلاف أثره في الفقهاء، فتعذر الرجوع بهم إلى وحدة الرأي، ثم إن مسائل أصول الفقه لا ترجع إلى مقاصد الشريعة، ولكنها تدور حول استنباط الأحكام من ألفاظ الشريعة اعتماداً على قواعد حددها أهل العلم، حيث تمكّن تلك القواعد المتضلع فيها من تأييد فروع انتزاعها الفقهاء قبل ابتکار علم أصول الفقه؛ لتكون تلك الفروع بوساطة تلك القواعد المقبولة في نفوس المزاولين لها من مقلدي المذاهب، وكادت تنحصر مباحث علم أصول الفقه في موضوعات بعينها، كمقتضيات الألفاظ وفروعها، من عموم وإطلاق ونص وظهور وحقيقة، وكمسائل تعارض الأدلة الشرعية من تخصيص وتقييد وتأويل وجمع

ليستية أن تلك الأدلة سالمة مما يبطل جلالتها، ويقضي عليها بالإلغاء والتنفيح، بالنسخ أو الترجيح لأحد الدليلين، أو ظهور فساد الاجتهاد.

٣- قياس ما لم يرد حكمه في أقوال الشارع على حكم ما ورد حكمه فيه، بعد أن يعرف بدقة وعمق علل التشريعات الثابتة بطرق مسالك العلة.

٤- إعطاء حكم لفعل أو حادث حدث للناس، لا يعرف حكمه فيما لا يندرج للمجتهد من أدلة الشريعة، ولا نظير له يقاس عليه.

٥- تلقي بعض أحكام الشريعة الثابتة عنده تلقي من لم يعرف علل أحكامها، ولا حكمة الشريعة من تشريعها، وسمى هذا النوع بالتعبد، وإذا عرف المتعبد هذه الأساسيات الخمسة، فإنه يكون قد ضبط أحد المسالك المهمة في مسالك الاجتهاد<sup>(٤٢)</sup>.

كما تناول الشيخ طرق إثبات مقاصد الشريعة، وذلك بالاستقراء المقاصدي للشريعة وأحكامها، من القرآن والسنة والعقل وسائر مصادر التشريع، كما تناول شروط المقاصد، مشترطاً لاعتبار مقاصد الشريعة الثبوت والظهور والانضباط والاطراد<sup>(٤٣)</sup>.

والمراد بالثبت أن تكون المعاني مجزوماً بتحققها أو مطنوناً قريباً من الجزم.

والمراد بالظهور الوضوح، حيث لا يختلف الفقهاء في تشخيص المعنى الواحد، ولا يتبس على معظمهم بمشابهة أو نحوها، مثل مقصد حفظ

وقد بين الشيخ منهجه في هذا الكتاب، الذي خصّه لدراسة مقاصد التشريع الإسلامي في قواعد المعاملات والأداب، وما يتعلق بأحكام العبادات، فقد خصص له كتابه الشهير (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)<sup>(٤٤)</sup>.

وقد أنكر الشيخ على مذهب الظاهيرية حصرها مقاصد الشريعة في ظواهر النصوص ورفضها للمصالح المستفادة بالفعل، وعدمأخذها بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة، بل لا عبرة عندهم بالمعاني والمقاصد إذا خالفت الظاهر<sup>(٤٥)</sup>.

كما أنكر الوجهة الباطنية المناقضة لوجهة الظاهيرية؛ إذ ذهب أهل الباطن إلى أن للنصوص ظواهر وبواطن، والمقاصد الحقيقية إنما هي قائمة في معانٍ باطنية لا تدل عليها ظواهر النصوص، ولذلك معرفة هذه المقاصد ينبغي أن تلتمس في هذه المعاني الباطنية، ولا رجوع في ذلك إلى الألفاظ بحال، وظل الشيخ طيلة كتابه لا يجد الفرصة مواتية لهاجمة الظاهيرية والباطنية وتقويض دعائهما، إلاّ فعل ذلك<sup>(٤٦)</sup>.

وقد بين حاجة الفقه الماسة إلى معرفة علم مقاصد الشريعة بعمق ودقة وتوسيع، نظراً ل حاجته الماسة إليه في آلية الاجتهاد، وهذه الأساسيات الخمسة، التي تؤهله للتتوسع في علم المقاصد هي:

١- فهم أقوال الشريعة، واستفادة مدلولات تلك الأقوال حسب الاستعمال اللغوي لها، وحسب النقل الشرعي بالقواعد اللفظية التي بها الاستدلال الفقهي.

٢- البحث عما يعارض الأدلة التي لاحت للمجتهد؛

وقد أكد الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور على الفقهاء والعلماء في مقاصد الشريعة إطالة النظر وادامته وتعميقه، والتثبت في إثباتات مقاصد الشريعة، وحذرهم من التساهل والتسريع؛ لأنَّ تغيير مقصد شرعي سيترتب عنه تغيرات كثيرة في أحكام شرعية كثيرة، فالخطأ فيه خطير عظيم على الشريعة والأمة<sup>(٤٧)</sup>.

وهو علم خاص بالعلماء والمجتهدين والفقهاء البارعين على قدر مواهبهم وقدراتهم وقرائتهم، وليس على كل مكلف معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية؛ لأنَّ معرفة المقاصد نوع دقيق من أنواع العلم<sup>(٤٨)</sup>.

كما بين في كتابه الجليل منافع الاجتهد عموماً، وفوائد الاجتهد الجماعي خصوصاً، مؤكداً عليه؛ لأنَّ الأمة الإسلامية بحاجة إليه في عصر التكتلات والغزو الثقافي والزخم المعرفي، الذي يغزو على الأمة الإسلامية، متبعاً في الوقت نفسه إلى مخاطر التعصب والانغلاق المذهبي معًا، مختتماً كتابه بالتذكير بقيمة علم المقاصد في إصلاح الأمة الإسلامية وصلاحيتها وحيويتها وتجديدها ودورها استمرارها قوية بين المجتمعات الإنسانية<sup>(٤٩)</sup>.

**الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور فقيها مفتياً:**

حبا الله عبده محمد الطاهر ابن عاشور ملكرة الإفتاء، بعد أن حباه بملكة طلب العلم الشرعي، والتزود والتعمق فيه سني دراسته في جامع الزيتونة المعمور، وقد تصدى الشيخ لهذه المهمة الجليلة بعد أن تبوأ منصب خطة القضاء المالكي من سنة ١٩١٢م إلى سنة ١٩٢٣م، وتعمق فيها بمخالطته

النسب، الذي هو المقصد من مشروعية الزواج، فهو معنى ظاهر لا يلتبس بمشابهته له، وهو يحصل بالمخادنة أو إلصاق المرأة البغي حظها برجل معين من صاغوها..

والمراد بالانضباط أن يكون للمعنى قدر غير مشكوك فيه، حيث لا يتجاوزه ولا يقتصر عنه، مثل حفظ العقل، الذي هو المقصد من تحريم الخمر، ومشروعية الحد بسبب الإسکار الذي يخرج به العاقل عن تصرفات العقلاء.

والمراد بالاضطراد ألا يكون المعنى مختلفاً باختلاف الأزمان والأماكن، مثل وصف الإسلام والقدرة على الإنفاق في اشتراط الكفاءة في النكاح لدى المالكية.

فإذا تحققت هذه المعاني بهذه الشروط، حصل اليقين بأنها مقاصد شرعية، ولا اعتداد بعدهن بالأوهام أو التخيّلات، فليس بينها شيء صالح لأن يعد مقصدًا شرعاً<sup>(٥٠)</sup>.

والأوهام هي المعاني التي يخترعها الوهم نفسه، دون أن تصل إليه من شيء محقق من الخارج، كتوهم من الناس أن في الميت معنى يجب الخوف منه أو التفور عنه في الخلوة، وهذا الإدراك مركب من الفعل والانفعال؛ لأنَّ الذهن الواحد نجده في هذا فاعلاً ومنفعلاً معًا، فهو يفعل الاختراع ثم يدركه<sup>(٥١)</sup>.

وأما التخيّلات فهي المعاني التي تخترعها قوة الخيال بمعونة الوهم بأن يركبها الخيال من عدة معانٍ محسوسة محفوظة في الحافظة، كتمثيل صنف من الحوت أنه خنزير بحري. فليس شيء من هذه التخيّلات والأوهام يصلح لأن يعد مقصدًا شرعاً<sup>(٥٢)</sup>.

اختلاط المسلمين بغيرهم - عن جواز لبس القبعة الأوربية، وجواز أكل ذبائح أهل البلاد غير المسماة عليها، التي كانت تذبح بعد أن تضرب بالساطور على رأسها، وحكم جواز صلاة الشافعية خلف الحنفية دون تسمية، وحكم صلاة العيددين وتكبيراتهما.

وقد أفتى الشيخ محمد عبده بجواز ذلك مدعماً فتواه تلك بالأدلة<sup>(٥٢)</sup>، وأيدته كل فئات التجديد والإصلاح، ومنهم الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الذي خرج قواعد هذه المسائل وأصولها من أمهات كتب المالكية، التي أيدَّ من خلالها صحة ما ذهب إليه الإمام محمد عبده في مصر والعالم العربي والإسلامي من قبل الجامدين والمقلدين، ومن يومها بُرِزَ الشيخ ابن عاشور إلى ساحة الفتوى بين كبار العلماء<sup>(٥٣)</sup>.

## ٢ - فتوى جواز القراءة على الأموات:

أثارت مسألة جواز القراءة على الأموات أو عدم جوازها ضجة كبيرة في الجزائر بين الإصلاحيين من أنصار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ورجال الزوايا والطرق الصوفية، وقد أفضى القول فيها ودقق النظر، وحسم شقة الخلاف في المسألة، حيث أجاز القراءة لمن أراد القراءة بنية التذكير، وأجاز ترك القراءة لمن كانت نيته التفكير والصمت والاعتبار، واضعاً بذلك حدًّا للخلاف القائم بين علماء الجزائر<sup>(٥٤)</sup>.

## ٣ - حكم الإسلام في التجنُّس بالجنسية الأجنبية:

بعد صدور قانون التجنُّس بالجنسية الفرنسية الاستعمارية للراغبين في التجنُّس من الجزائريين

لقضايا المسلمين ومشكلاتهم التي كان يفصل فيها، كما ترسخت أقدامه في هذا المضمار بعد توليه منزلة الإفتاء سنة ١٤٤١ هـ / ١٩٢٣ م، وظل كذلك إلى أن سُمِّيَ من قبل العلماء وفاز بلقب (شيخ الإسلام)، وهو أول من تسمى به من علماء المالكية<sup>(٥٥)</sup>.

ولم تظهر فتاوياه في الصحف التونسية في بداية تصديه للإفتاء، بل عرف الظهور في مجال الفتوى عبر محلات الشرق العربي، ولا سيما بعد نشره تأييداً في مجلة المنار حول الفتوى (الترنسفالية) الشهيرة يومها، ثم بدأت تنشر في الصحف التونسية<sup>(٥٦)</sup>.

كما أفتى الشيخ بالمسائل التي طرحت في عهده كافة، كما كان يجتهد في المسائل الفقهية القديمة إضافة إلى اجتهاداته وأرائه الرائدة في المسائل المستحدثة التي طرحت عليه، وقد تنوّعت فتاوياه ورخصه بين مسائل الكليات والأصول، والفروع بأنواعها المتعددة، كما كان له السبق في التصدي للمستحدثات من الأمور؛ ليبين فيها موقف الإسلام ورأيه.

## أشهر فتاويه:

ترك الشيخ رصيداً عظيماً في الفتوى على مذهب السادة المالكية، كما كانت فتاوياه بين الأصالة والتبعية للمذهب المالكي، والتجديد والاجتهد فيه بمقدار حاجة العصر ومتطلباته، ملتزمًا حيز الكتاب والسنة، وأشهر فتاويه:

### ١ - الفتوى الترسفالية:

سئل الشيخ محمد عبده من قبل مسلمي مقاطعة الترسفالي بجنوب أفريقيا - حيث يكثر

- ١- الدقة والعمق والإصابة والضبط والمعرفة العميقية لأحوال المستفتين والاستجابة الحقيقية لطلباتهم.
- ٢- التزامها بالفقه المالكي فروعاً، وبالعقيدة الأشعرية أصولاً.
- ٣- الجدية والتجديد والاجتهد والواقعية بما يتناسب والفتوى المطروحة مع التقيد بالكتاب والسنة.
- ٤- سلامة مقاصدها الشرعي، وعدم توجهاً أو تشيراً واستخدامها من قبل الجهات المشبوهة.

وهو بحق فارس لا يجارى في مجال الفتوى، وفارس مقتاحم غير هياب لجديتها ولمستحدثتها ولعوتها، و فعل في علمي المعمول والمنقول، وعالم ثبت ومحترر، يهدف لخدمة الأمة الإسلامية.

**الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور المصلح:**

الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عالم عامل، وداعية متمرس في فهم أحوال المسلمين ودراستها وتبعها وواقعهم في تونس خاصة وفي العالم العربي والإسلامي عاملاً، نزل بعلمه الغزير في ميدان الإصلاح الاجتماعي والتربوي عبر تأليفه الجليلة من جهة، وعبر نشاطه الدعوي والإصلاحي العملي والواقعي من جهة ثانية، وقد بينت سيرته وتأليفه ذلك النشاط الإصلاحي، وهو ما سنسرى لتوضيحه من خلال تتبعنا الوجيز لمسيرته الإصلاحية الاجتماعية والتربوية.

### المصلح الاجتماعي:

انطلق الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في

والتونسيين سنة ١٩١٠م، وقد أثارت هذه القوانين حفيظة رجال الإصلاح والدعوة والفكر والقادة والزعماء السياسيين وغيرتهم، وكثير اللغط حولها، مما اضطر علماء الجزائر إلى إصدار فتوى تحريم التجنس بالجنسية الأجنبية تحريماً مطلقاً ودعوا المتجلس للتوبة منه، والحكم بردّته وكفره، ومن ثم حرمانه من كل ما يترتب عن إسلامه، وصولاً إلى حرمة دفنه في مقابر المسلمين<sup>(٥٥)</sup>. وقد وافتهم مجلس الفتوى المالكية بتونس برئاسة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، واشترطوا شروطاً لقبول توبته المتجلس ودفنه في مقابر المسلمين، كعودة نطقه بالشهدادتين وتوبته من كل تبعات التجنس، وتخليه عن الامتيازات التي لحقته من التجنس، ولم تعجب السلطات الاستعمارية هذه الفتوى<sup>(٥٦)</sup>.

### محنة الشيخ

نالها حكومة الاستقلال الوطني التونسية الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور العداء، وأساءت إليه، شأنها في ذلك شأن بقية الحكومات الثورية في العالم العربي والإسلامي، التي أساءت لعلمائها وشيوخها، وتعرض الشيخ بسبب مواقفه الإسلامية الصلبية إلى مواجهة فمحنة مع النظام التونسي، ولا سيما بعد امتناعه عن إصدار فتوى تبيح الإفطار في رمضان لمن أراد، بحججة تقوية الإنتاج وتنمية البلاد، ورفض إصدار هذه الفتوى سنة ١٩٦١م نزولاً عند رغبة الرئيس الحبيب بورقيبة، وظل يعاني من إساءات السلطة له حتى وفاته سنة ١٩٧٢هـ/١٢٩٣.

### مميزات فتاويه:

المطلع على فتاوى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور يتبيّن أنّها تميّز بالمميزات الآتية:

والعاطفي والإيماني للفرد وتنقيته، والذي بصلاحه الداخلي يصلح معه العمل والسلوك الفردي والجمعي<sup>(٥٨)</sup>.

معرجاً على أهمية المرأة ودورها ومكانتها في صلب النظام الاجتماعي الإسلامي، دافعاً - في الوقت نفسه - كل التجنيات والافتراضات التي شكّلها حوله المغرضون والأعداء والجاهلون به، سارداً وضعها الم Hein السابق للإسلام، ووضعها الكريم في ظل المبادئ الإسلامية الفراء، ودورها الخطير في صلاح الفرد والمجتمع، مفسّراً وموضحاً في تألف دقيق ومنسجم روح النصوص وظاهرها التي انتظمت واقع المرأة بإحكام في الدين الإسلامي<sup>(٥٩)</sup>.

كما تعرض أيضاً إلى أهمية الوحدة الإسلامية بين أفراد المجتمع المسلم، التي تشكل حيزاً كبيراً من أهدافه ومقاصده الكبرى، والتي هي نتاج طبيعي لوحدة القيم والمثل والمبادئ والعبادات والسلوكيات الإسلامية المتأصلة في الأفراد، هذه الوحدة التي تعزز بالأخوة الإسلامية الوجدانية النفسية والسلوكية العملية في العبادات وفي سائر المعاملات<sup>(٦٠)</sup>.

كما بين مقومات النظام الاجتماعي في الإسلام القائم على مكارم الأخلاق، التي هي ثمرة الدين الحقيقة في الأفراد، والتي خيار الفرد المسلم الحكيم، في ظل الكيان السياسي الإسلامي الأفضل، الذي يسوس عامة الرعية المسلمة بالعدل والإحسان والتسامح وحفظ الحقوق والحربيات، والذي يتوج قيام النظام السياسي الإسلامي الأمثل من مجتمع تفاعل الأفراد الخيريين والجماعات

مشروع إصلاحه الاجتماعي من مستويين معرفيين، أولهما تشخيصه للواقع وتقييمه ودراسته، في تونس وخاصة في العالم العربي والإسلامي بعامة، وثانيهما تشبعه بقيم الإسلام السامية ومبادئه في إصلاح الفرد والمجتمع والإنسانية.

وقد قعد منطلقه الإصلاحي الاجتماعي بكتابه القيم (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)، الذي ضمّنه كل قيم الإسلام الاجتماعية في الإصلاح الفردي والجمعي والاجتماعي، مركزاً على المنهج الإسلامي المتكامل في الإصلاح الفردي في الحقبة المكية، والإصلاح الاجتماعي الكياني الشامل والعام في الحقبة المدنية، مبيناً صواب المنهج الإسلامي ودقتة وتكامله واعتداله في توطيد العلاقة بين الدين والحياة، وأثره البالغ في إعداد الفرد الصالح والمجتمع الأمثل، وأثره الفعال في بناء الحضارات والأمم الراسدة؛ لتميزه عن غيره من الأديان السابقة له بجملة من الخصائص، على رأسها الفطرية والعمومية والشمول والسلمية والوسطية والواقعية والاعتدال والتكاملية، على العكس مما تذهب إليه كل النظريات البشرية الوضعية في فصل الدين وإبعاده عن تسيير شؤون الحياة وتوجيهها، والتقليل من شأن الدين في صناعة الفرد والمجتمع والحضارة وتشكيلها وصياغتها<sup>(٦١)</sup>.

وقد بسط القول بدقة وعمق في هذه الخصائص التي يتميز بها الدين الإسلامي، مبيناً دورها في صناعة الفرد الصالح، وفي تشكيل المجتمع الأفضل، مبيناً منطلق الإصلاح الفردي الرئيس، المتمثل في تصويب العمق الوجداني

وقد عرفت تونس قيام نهضة تعليمية وعلمية وتربيوية قبيل محاولات الشيخ ابن عاشور، تمثلت في تأسيس الكلية الحربية العالية بتونس، وإنشاء المكتبة الأحمدية العامة أيضاً سنة ١٨٤٠م، إضافة إلى محاولات الإصلاح التربوي الشاملة عامّة، ولجامعة الزيتونة خاصة، ولا سيما بعد مجيء الشيخ الوزير الأول خير الدين باشا التونسي للحكم وإصداره أوامر الإصلاح سنّوّات ١٨٧٥م... ١٩٧٨م، وتأسيسه المكتبة العبدليّة العامة أيضاً في سنة ١٨٧٥م، وإنشاء المدرستين الحديثتين الصادقية والخلدونية سنة ١٨٧٥م، وما تلاها من تأسيس لجمعية الخلدونية والصادقية، ثم لقدماء تلامذة الصادقية والخلدونية سنة ١٨٦٩م<sup>(١٤)</sup>.

إضافة إلى تأثيره بالحركة التعليمية والتربوية التي دشنها الشيخ محمد عبد الله بمصر، عندما تولى رئاسة إصلاح الأزهر، واهتمام الأمة العربية والإسلامية الناهضة بالتربيّة والتعليم، ولا سيما مصر في عهد دولة (محمد علي باشا) سنة ١٨٤٩م وأبنائه، وتأسيسهم المدارس، ولا سيما (مدرسة الألسن للترجمة) التي أوكلت إدارتها للشيخ (رافاعة الطهطاوي) سنة ١٨٨٣/١٨٠٢م، واهتمام مصر بإرسال البعثات العلمية لأوروبا، ووضع العالم الغربي المتفوق بسب التقدّم العلمي<sup>(١٥)</sup>.

**كتابه التربوي الجليل (أليس الصبح بقريب):**  
يعد كتاب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (أليس الصبح بقريب) المترجم الوحيد عن آراء الشيخ وأفكاره وتصوراته للتربية والتعليم ولمنهجه الإصلاحي في مجال التربية والتعليم، كما جاء عنوانه جزءاً من آية قرآنية<sup>(١٦)</sup>، كما يعكس أيضاً

الخيرية في المجتمع الخير، يقوم على التسامح والتعايش مع الذات والآخر الموالي والمخالف<sup>(١٧)</sup>.

وقد استحسن الشيخ، وهو يعرض موضوعاته، الكثير مما وصل إليه العقل البشري في الغرب من فتوحات وفضائل الديمقراطية الغربية في عالم الحقوق والحرّيات والعلم، وفي الديمقراطية ومكاسبها التي تلتقي مع الإسلام في تكريم الفرد واحترامه، عارضاً النماذج الحسنة في الديمقراطية الغربية، وتخصص الإسلام بنظام الخلافة دون غيره من الأديان، الذي يمثل شكلاً من أشكال العقود الدقيقة بين الرعية والراعي وفق دقة الاجتهاد للعمل بالأطر المرجعية المقدسة وصوابه<sup>(١٨)</sup>.

وقد سعى الشيخ جاهداً لتعليم طلابه في هذه الأصول والمبادئ النظرية، وحثّهم لتطبيقها والعمل بها في بلادهم عملياً، عليهم يصلحون ويقيمون ما يمكن أن ينهض بالأمة الإسلامية، ويحررها من ربة الاستعمار وأعوانه.

### المصلح التربوي:

تميزت رؤية الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في مجال الإصلاح التربوي والتعليمي بعمق فهمه ودقة تصوّره لقضية الإصلاح والتغيير عموماً، ولدور المؤسسات والهيئات والبرامج والإطارات التربوية وأهميتها في عملية التغيير والإصلاح خصوصاً، بعد أن اجتمعت جملة من العوامل على بلورة فكره التربوي النظري والتطبيقي، التي بدت بوضوح في إصلاح التعليم عموماً وتجسدت في إصلاح جامعة وجامعة الزيتونة خصوصاً<sup>(١٩)</sup>.

والفارسية والتركية، والمدرسة المغربية الأندرسية، مركزاً القول على مدرسة القิروان وتونس ودورها في نهضة العلوم العربية والدينية وتطويرها والحفظ عليها<sup>(٦٩)</sup>.

مبيناً أهمية التأليف المدرسي وقيمة، وطبيعة لغته ومستواها ونوعيتها، وأهمية منهجه وأسلوبه، التي تعود الطلبة وتدريبهم على الفهم والتعمر والتحليل والتوصيل والكتابة والتأليف<sup>(٧٠)</sup>.

كما دعا إلى تأليف لجان متخصصة في كل علم؛ لتعيد التأليف فيه، ولخلصه مما علق به من افتئات وزيادات وأهواء لا علاقة لها به، كما هو أمر علم الكلام والفلسفة والمنطق والتاريخ، الذي تأثر بالترجم الفاسدة من جهة، وبالفهومات الخاطئة من جهة ثانية، وباتباع الهوى من جهة ثالثة، على الرغم من مكانتها ونفعها لطالب العلم<sup>(٧١)</sup>.

مبيناً في الختام ارتباط هذه الخطة الإصلاحية بمدى إصلاح أحوال المعلمين وال المتعلمين ومكانتهم، ولا سيما المادية والاجتماعية والاقتصادية والاعتبارية<sup>(٧٢)</sup>.

وهكذا تبدو لنا أهمية الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومكانته وقدره بوصفه عالماً فذاً، ومجدداً، مجتهداً، وداعية مصلحاً، ومفسراً ومحدثاً، ومقاصدياً، وفقيراً مفتياً، ومصلحاً اجتماعياً وتربوياً، ومعلماً مدرساً، حفظ تراث الأقدمين وقدمه للآلاف من طلبة العلم الزيتونيين: التونسيين والليبيين والجزائريين والمغاربة والموريتانيين، وغيرهم من الأفارقة. ■

تشوق الشيخ إلى انبلاج صبح النور والمعرفة والعلم بعد طول ليل على الأمة العربية والإسلامية من التخلف والجهل<sup>(٧٣)</sup>.

وقد عرض الشيخ في مقدمته أهمية إصلاح مجال التربية والتعليم، ودوره في عملية الإصلاح الشاملة، مبيناً أسباب التخلف العلمي في البلاد التونسية عموماً، والزيتوني خصوصاً، وعلى رأسها انعدام التخطيط التربوي، وعدم وجود خطة تربوية شاملة تنتظم فيها المؤسسات التربوية بأركانها كافة، وعدم وجود رقابة صارمة ونظام محدد ومبين يلزم التلاميذ والأساتذة والإدارة والدولة، وجري الكثير من طلبة العلم لتحصيل الشهادات بهدف الكسب والارتزاق، لا بهدف التعلم والتعليم الصحيح والجاد، مع تردي الأوضاع الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والصحية في البلاد الإسلامية عموماً.

ثم تعمق في نقد المنظومة التربوية من الداخل مبيناً عيوب الطريقة التقنية التقليدية، وغياب المنهج النقدي والتحليلي، والاكتفاء بالمنهج التقني النظري التقليدي، وإهمال البعد التطبيقي العملي في العملية التعليمية، مرجحاً على مستوى الطلبة التونسيين وغيرهم وأحوالهم ونفسياتهم ودرجاتهم ودوافعهم وغاياتهم، مؤكداً أهمية التأليف المدرسي والعلمي المتخصص والدقيق، البعيد عن منهج العمومية والشمولية، وضرورة إصلاح مناهج التعليم<sup>(٧٤)</sup>.

متعرضاً إلى مسيرة الحركة العلمية في العالم الإسلامي، ومميزات كل مدرسة واتجاهاتها واهتماماتها، فالمدرسة الشرقية المصرية والشامية

## الحواشي

- ❖ عبد الحليم بن سماية ١٢٨٢-١٢٥١هـ / ١٩٢٣-١٨٦٦م: من أوائل المصلحين الجزائريين المعتقدن لمذهب الإمام محمد عبده الإصلاحي في الجزائر، ولد بالعاصمة في كتف والد مثقف ثقافة واسعة، أخذها من ترداده على مصر، أدخله والده الكتاب، حيث حفظ القرآن الكريم. وفي سنة ١٨٩٦م بدأ التدريس بصحبة الشيخ (عبد القادر المجاوي) في مدرسة خاصة بتعليم اللغة العربية بالجزائر، ثم عرف بعدها أستاذًا بارزاً بالمدرسة الثانوية، تخرج على يده جيل من المثقفين الجزائريين المزدوجي اللغة، يعد من أوسع علماء عصره علماً وثقافة. ومن المؤلفين والكتاب المشهورين، توفي يوم ٤ جانفي ١٩٢٢م بالعاصمة، ينظر: نهضة الجزائري الحديث: ١٢٦/١، آثار الشيخ عبد الحميد بن باديس: ٢٨/١، المقالة الصحفية في الجزائر: ٢١٨/٢.
- ❖ محمد بن مصطفى بن الخوجة ١٢٨١-١٢٦١هـ / ١٨٦٥-١٩٤١م: ولد بالجزائر العاصمة. وبها تلقى العلم على يد أكابر شيوخها، وكان من أكثر العلماء الجزائريين مطالعة للكتب والجرائد والمجلات، وبخاصة ما كتب الشيخ الإمام محمد عبده في النار. عمل طيلة حياته واعظًا وخطيبًا ومدرسًا، ترك العديد من المؤلفات. الآثار: ١/٣٤٠.. بتصريف.
- ❖ أبو القاسم الحفناوي ١٢٦٩-١٢٦١هـ / ١٩١٧-١٨٦٥م: كاتب وشاعر، له اشتغال بالتاريخ، ولد بقرية الدليس بالقرب من بوسعدة، وفي زاوية الهامل ببوسعادة تعلم، ثم عمل في قلم تحرير جريدة البشر الرسمية من عام ١٨٨٤-١٩٢٦م، ودرس بالجامع الكبير بالعاصمة من عام ١٨٩٧ إلى وفاته سنة ١٩٤١م، تولى منصب الإفتاء المالكي بعد مقتل الفتى بن كحول سنة ١٩٣٦م، له تصانيف عديدة، أشهرها تعريف الخلف ب الرجال السلف. ينظر: أعلام الجزائر: ١٢١، آثار ابن باديس: ٤٥.
- ❖ محمد بن أبي شنب ١٢٦٩-١٢٦٩م / ١٩٢٩-١٢٤٧هـ: باحث وعالم وأديب، ولد بمدينة المدية بالقرب من الجزائر العاصمة يوم ١٠/٢٦ م، وتعلم أولاً في بلدته مبادئ العربية والإسلام، وحفظ شيئاً من القرآن الكريم، ثم درس باللغتين الفرنسية والعربية بدار المعلمين العليا الفرنسية بالجزائر، وحاز إجازة تعلم اللغة والعلوم الفرنسية في المدارسالجزائرية الفرنسية، وبعد سنوات أجيزة للتدرис بمدرسة الآداب العليا، ثم بمدرسة

- ١- تاريخ الدولة العربية الكبرى: ٢١١، أضواء على تاريخ تونس الحديث: ٥، المعروون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي: ٤٨.
- ٢- إفريقيا الشمالية تسير: ٤٤، المذكرات: ١/٧٠، حياة كفاح: ١ج، ٢ج، مختصر تاريخ تونس: ٦٥/٢.
- ٣- فجر التنوير العربي الحديث، الصلات الثقافية والفكرية بين تونس وأقطار المشرق: ١٤٨، أضواء على تاريخ تونس الحديث: ٥، المعروون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي: ٤٨.
- ٤- تفكير محمد رشيد رضا: ٦٠٠، ولعنة تراجم هؤلاء الأعلام التونسيين انظر: ١ج، ٢ج، ٤ج.
- ٥- لمزيد من التوسيع في دراسة فلسفة الشيختين يراجع، الأعمال الكاملة لمحمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، العروبة الوثيق، مقدمة المحقق، وغيرها فقد قدر عدد الدراسات التي قامت حولها قرابة ألف دراسة وبحث ومقال.
- ٦- الشيخ العربي التبسي مصلحًا: ٦٥، وانظر إفريقيا الشمالية تسير: ١٢٥، وقد وصف رحلة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر بقوله: «ظلت الجزائر مدة طويلة أكثر البلدان الإسلامية إعراضًا عن الأفكار الجديدة، ففي سنة ١٩٠٤م، لم يثر مرور الشيخ محمد عبده انتباهاً خاصًا، وقد تحدث مفتى القاهرة أمام جمع صغير من المستمعين بمسجد متواضع من حي (بلكور BELCOURT)، ولم يخطر ببال أحد على ما يظهر أن ذلك العالم المفسر كان باعث النهضة السياسية والدينية والثقافية الإسلامية، مادعاً قسنطينة، حيث تفتحت بعد بعض الأفكار النيرة إلى تأثيرات الشرق...».
- ❖ صالح بن مهني ت ١٣٢٥هـ - ١٩٠٨م: عالم وفقيه وخطيب أثرت دروسه وعظاته ومناجاته للضمير الإسلامي النائم بقسنطينة سنة ١٨٩٨م، فعملت الإدارة الاستعمارية على إبعاده من قسنطينة ومصادرة مكتبه التي لا تقدر بثمن بعد أن ترك مؤلفات كثيرة.
- ❖ عبد القادر المجاوي ت ١٣٢٠هـ - ١٩١٢م: العالم الفقيه الخطيب المدرس. صاحب المؤلفات الشهيرة، عمل بالتدريس بقسنطينة منذ سنة ١٨٧٩م، إلى أن نقلته الحكومة الفرنسية إلى العاصمة سنة ١٨٩٨م، وظل بها مدرساً وخطيباً إلى أن توفي سنة ١٩١٢م. انظر: الآثار: ١/٧١-١٨، بتصريف، عادل نويهض: ٢٨٦، وأخرون.

- ❖ الصراع بين السنة والبدعة ٢٧٩٠/٢: بتصريف المذكرات .٧٤/١:
- ❖ عبد الحميد بن باديس ١٨٨٩-١٩٤٠ م: رائد النهضة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر الحديثة.
- ❖ محمد البشير الإبراهيمي ١٨٨٩-١٩٤٠ م: الرجل الثاني في جمعية العلماء، والعلامة والكاتب الشهير.
- ❖ العربي التبسي ١٨٩١-١٩٥٧ م: الرجل الثالث في جمعية العلماء، والعالم الفقيه الزيتوني الأزهري.
- ❖ مجلة منار الإسلام أعداد سنوية ٢٠٠٠ م و ٢٠٠١ م.
- ٧- أركان النهضة الأدبية التونسية: ١٣. ينظر: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس: ٢١. ولزيد من التوسيع عن الوزير خير الدين الباشا ينظر: زعماء الاصلاح في العصر الحديث: ١٥٨.
- ٨- انظر المجلة الزيتونية، مج ٢/٤٨٠. ولا توجد لدينا ترجمة عنه.
- ٩- المجلة الزيتونية، المجلد ١، ج ٤/٢٦٢.
- ١٠- محمد الطاهر ابن عاشور: ٢١. عن مجلة الزيتونة: مج ١/ج ٤/٢٦٢.
- ١١- لماذا تأخر المسلمين، ولماذا تقدم غيرهم: ٧٥.
- ❖ أفريقيا الشمالية تسير: ٢٢، يذكر عن تأثير شبيب أرسلان قوله:
- «...لقد تسربت روح النهضة العربية إلى المغرب عن طريق الكتب والصحافة والطلاب، الذين تخرجوا في كليات مصر أو سوريا، أو الذين تعرفوا في الحي اللاتيني بباريس زملاءهم من الشرق الأدنى، وعن طريق أسفار الحجاج ... ولكن الفضل في انتشار المبادئ التوحيدية العربية في المغرب يرجع قبل كل شيء إلى نفوذ الأمير شبيب أرسلان...». انظر أفريقيا الشمالية تسير: ٢٢.
- ١٢- الحركة الأدبية والفكرية في تونس: ٧٠، التعليم الإسلامي وحركة الاصلاح بجامع الزيتونة: ٢٤.
- ١٣- أليس الصبح بقريب: ١١٤.
- ١٤- إتحاف أهل الزمان بتونس وعهد الأمان: ٨/١٦٦.
- إذ يعود أصل الشيخ (محمد الطاهر ابن عاشور) إلى جده الأول (محمد بن عاشور) الذي ولد بمدينة (سلا) بالغرب الأقصى بعد خروج والده من الأندلس فاراً بدينه من قهر محاكم التفتيش وقمعها، والذي توفي سنة ١١١٠ هـ، وسمي هو باسم جده هذا، وقد هاجر أبناؤه إلى تونس وبرز منهم (محمد ابن عاشور) جد الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور)، الذي كان عالماً فحلاً وفقهياً بارزاً وخطيباً مصطفعاً، تضطلع في علمي الأصول
- قسنيطينة سنة ١٨٨٨ م، فمدرسة الجزائر ١٩٠١ م، حصل على شهادة الدكتوراه في الآداب، من جامعة الجزائر سنة ١٩٢٠ م من كلية الآداب، بعد أن قدّم تأليفين أولهما عن حياة الشاعر (أبي دلامة)، والكتاب الثاني عن (الأنفاط التركية والفارسية الباقي في اللهجة الجزائرية). وأصبح بعدها مدرساً بكلية الآداب سنة ١٩٢٤ م. انتخب عضواً بالجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٢٠ م، وعضوًا بالمجمع العلمي بباريس سنة ١٩٢٤ م. وقد ترك العديد من المؤلفات في العربية والإسلاميات. أعلام الجزائر: ١٨٩-١٩١، الفكر والثقافة في المغرب العربي: ٢٢٢.
- ❖ حمدان الونيسي ت ١٢٢١ هـ - ١٩٢٠ م: من كبار علماء الجزائر، ومن رواد الحركة الإصلاحية بها في مستهل القرن العشرين الميلادي الرابع عشر الهجري، تلمذ على يد الشيخ (عبد القادر المجاوي ت ١٢٣٠-١٩١٣ م)، وخرج الكثير من الطلاب، منهم ابن بداريس، الذي يقر له بالفضل وبالعلم وبالريادة، وبتأثيره العميق فيه، هاجر إلى الحجاز احتجاجاً على قمع السلطات الاستعمارية، وأفتى بعدم جواز تجنيد المسلمين الجزائريين في الجيش الفرنسي، فحاول الاستعمار التأثير فيه؛ ليبدل هتوابه، ولكنه رفض، فضايق الشيخ، مما اضطره للهجرة إلى بلد الله الحرام، واستقر بالمدينة المنورة، وظل مدرساً للحديث النبوى بها إلى حين وفاته سنة ١٢٢٩ هـ / ١٩٢٠ م.
- وقد قال عنه الأستاذ أحمد لطفي السيد لما أدى فريضة الحج سنة ١٩١١ م: «أما نحن فقد كنا نخشى الوقت بعد الوقت درس الأستاذ الكبير الشيخ حمدان الونيسي مدرس الحديث والبيان بالحرم النبوي الشريف...».
- ❖ لمزيد من التوسيع ينظر الآثار: ١/٧٤، الصراع بين السنة والبدعة: ٢٢١-٢٢٢، مجلة الهلال المصرية، ع ١٢٨-١٢٩، ١٢٩، معجم أعلام الجزائر: ٣٤٦، نشأة أفريقيا الشمالية، مجلة أفريقيا: ع ٤/٤٢.
- ❖ الشيخ الطاهر بن زقوطة: ١٨٧٥-١٩٤٨ م.
- أحد فقهاء قسنطينة المشهورين، ولد سنة ١٨٧٥ م بقسنطينة، وهو حفيد الشيخ عمار بن زقوطة، الذي قاد حملة الدفاع عن قسنطينة وعنبابة عندما هاجمتها الفرنسيون سنة ١٨٣٦-١٨٣٧ م. وقد أخذ العلم عن الشيخ (حمدان الونيسي) وأجازه علمياً، وعن الشيخ (عبد القادر المجاوي). وكان مقتداً في العلم الشرعي وفي الخطبة، وله طلبة كثيرون، وقد عمل إماماً رسمياً في مسجد الأربعين شريفاً، ثم في جامع الكتانية، توفي - رحمه الله - بقسنطينة يوم ١٠ محرم / ١٣٦٨ هـ الموافق ١١/١١/١٩٤٨ م.



- ٢٦- المصدر نفسه: ٥٣، تاريخ الصحافة التونسية.
- ٢٧- ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ج ١، المقدمة الأولى في التفسير والتأويل وكون التفسير علمًا: ١٢-١١، أليس الصبح بقريب: ١٨٤.
- ٢٨- تفسير التحرير والتنوير: ١/١٢٠، ١٠/١٢٠.
- ٢٩- ينظر: تفسير التحرير والتنوير
- ٣٠- لأهل تونس قصب السبق في علم الحديث النبوي الشريف بين سائر أقطار المغرب العربي، وقد اطلعنا على إجازات ودفاتر تخرج بعض الطلبة الجزائريين من جامع الزيتونة (الشيخ العربي التبسي، وابن باديس، ومبark الميللي، وأحمد حماني، ومحمد الطيب باشا التبسي...)، وتدبيج أساقفتهم لهم باعتبار قراءة أحاديث الصحاح وروايتها وحفظها، ولا سيما اعتزازهم بحفظ صحيح البخاري ومسلم، والموطأ.
- ٣١- نسخة مصورة عن دفتر إجازات الطالب الزيتوني الجزائري محمد الطيب بن مبروك باشا التبسي الجزائري.
- ٣٢- ينظر: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: ٨٥-٨٠.
- ٣٣- محمد الطاهر بن عاشور: ٦-٧ بتصرف.
- ٣٤- أليس الصبح بقريب: ٣٥.
- ٣٥- مقاصد الشريعة الإسلامية: ٥، بتصرف.
- ٣٦- مقاصد الشريعة الإسلامية: ٧-٦، بتصرف.
- ٣٧- المصدر نفسه: ٧، بتصرف.
- ٣٨- مقاصد الشريعة: ٩، بتصرف.
- ٣٩- المصدر نفسه: ٢٤، بتصرف.
- ٤٠- المصدر نفسه: ٢٤، بتصرف.
- ٤١- المصدر نفسه: ١٥، بتصرف.
- ٤٢- المصدر نفسه: ٥٢، بتصرف.
- ٤٣- المصدر نفسه: ٥٣: بتصرف.
- ٤٤- المصدر نفسه: ٥٢، بتصرف.
- ٤٥- المصدر نفسه: ٥٣، بتصرف.
- ٤٦- المصدر نفسه: ٥٣، بتصرف.
- ٤٧- المصدر نفسه: ١٤٠، بتصرف.
- ٤٨- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: ١٠٢-١٠٣، بتصرف
- ٤٩- ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام: ١/٧١٦.
- ٥١- المصدر نفسه: ٥١: الفروع، وتولى التدريس والإفتاء والقضاء والإشراف على الأوقاف بتونس، والنظارة على بيت المال، والعضوية بمجلس الشورى، وله مؤلفات عديدة مطبوعة كحاشية على القطر، وشرحه على بربة البوصيري، ومحفوظة كحاشية على المجلس وحاشيته على جمع الجواب، والأشموني والغيث الإفريقي... وغيرها.
- ٥٢- محمد الطاهر ابن عاشور: ٢٧، نقلًا عن مجلة جوهر الإسلام، السنة ١٠، ٤، ٢٤، هـ ١٢٩٨، م ١٩٧٨.
- ٥٣- محمد الطاهر ابن عاشور: ٢٧ بتصرف، أليس الصبح بقريب: ١١٤.
- ٥٤- الخلدونية : إحدى المدارس المنشأة بجانب الزيتونة سنة ١٢١٤ هـ ١٨٩٦، كانت تدرس العلوم العسكرية، يذهب إليها أغلب طلاب الزيتونة لإتمام مالم يدرسوه فيه، وقد أسس أساتذتها جمعية أسموها جمعية الخلدونية، لعبت دوراً فكريًا وثقيفياً مهماً. ينظر: الحركة الأدبية والفكريّة في تونس: ٧٠، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح بجامع الزيتونة: ٢٤.
- ٥٥- الصادقية: أنشئت المدرسة الصادقية سنة ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م لتتخصص في تدريس العلوم وال المعارف العصرية، إضافة إلى اللغات الأجنبية، وقد لعبت الدور نفسه الذي لعبته الخلدونية في تخرج عدد من المثقفين التونسيين ذوي الاتجاه الغربي. ينظر: أليس الصبح بقريب: ١١٤.
- ٥٦- كمناقشه وتعقيبه على كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق، ينظر: تفكير السيد رشيد رضا: ١١٤، وحواره مع المستشرق الفيلسوف أوينهايم الذي حل بتونس سنة ١٩٠٥ م ينظر: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: ٤١.
- ٥٧- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: ٤٨-٤٩.
- ٥٨- محمد النحلي القيرواني ت ١٤٢ هـ ١٣٤٢: من أكابر علماء الزيتونة في التفسير والحديث وعلم السنن واللغة، تخرج على يديه كبار علماء النهضة الإصلاحية بالجزائر، أمثال الشيخ ابن باديس والعربي التبسي ومحمد مبارك الميللي، ومحمد الطيب باشا التبسي، ودفاتر تخرجهم الزيتونة ممهورة بتوقيعه واجزاته وخطه. ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين.
- ٥٩- ينظر: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: ٤١-٤٧ بتصرف.
- ٦٠- ينظر : الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: ٤١ - ٤٧، ٥١-٥٠.

أربع مسائل حديثت بحدوث استعباد بعض الشعوب الإسلامية يوم أن سلط الغرب القوي على الشرق الضعيف. وهذه المسائل أحدها مبتدئها بإدعواها للاخراج المسلمين من أحكام دينهم، وإدماجهم في تلك الأمم حتى يكترسوا المغير، ويقل عدد المسلمين. فهؤلاء المبتدئون للتجنيس على علم بتلك الحقيقة الاجتماعية الدينية (من كثرة سواد قوم فهو منهم). فيكون التجنيس غزواً للعوائد الإسلامية، ومحاولة لتفجير المتاجنس بطريق يستهوي الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة.

وأنا أتحقق كما يتحقق كل عاقل أن هذه المكفرات لا يفعلها من ربّي في أحضان الإسلام وأشرب قلبه حب ما جاء في كتاب الله، وإنما يرتكبها من أشئّ نشأة بعيدة عن الإسلام وتعاليمه. كما أتحقق أن كل تساهل يتسامه بعض المفتين الذين يعمون الجواب الفاحص عن السائلين في هذه المسائل، إنما يفعلون ذلك صيداً للوظائف، أو استرضاء للسلطة. وإنني لأعجب من أولئك المفترين الذين يفتون كذباً وزوراً على إمام المصلحين المرحوم الشيخ (محمد عبده) ساعة ينقولون عنه أنه كان أفقى بحلية التجنيس أو تساهل في ذلك، وهذا كلامه الصريح القاضي بردة المتاجنس، المذكور في (تفسير المنار بسورة النساء) ... إلا فليكتف أولئك الخرافيون عن أقاويلهم وترهاتهم الزائفة، ولعلموا أنَّ (محمد عبده) لا يبيع لنفسه، ولو أباح له الأديان أن يقول بجواز مسخ الإنسانية؛ لأن من المباحات ما يتزهّ عن أولو المروءات. وما التجنيس إلا نوع شنيع من المسوخ، أو المحق المبيد الذي يلحق الأمم أيام هرمها. ولنعد إلى سرد هذه المسائل التي ترجمنا لها وهي أربع:

#### • المسألة الأولى {التجنيس بالجنسية الأجنبية}

التجنيس: أي صيرورة المسلم من جنس غير المسلمين برفضه لأحكام الإسلام، وإيثاره لأحكام وضعية بشرية، حتى إنه يصير من يوم إمضائه للعقد القاضي بارتحاله من أسرة الإسلام إلى أسرة غيره لا حق له في الإسلام وتشريعه، ولا في تحليله وتحريميه، ولا في آدابه وتاريخه، ولا في أحاسيبه وأنسابه؛ لأنه تركها مختاراً راغباً في سواها كارها لها. وأين ذلك من قوله عز وجل: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً» (النساء: ٦٥). فهل ينطبق هذا التحريم على المتاجنس؟ اللهم لا.

#### • المسألة الثانية {نسخ الأحكام الشرعية بالاستئناف أمام المحاكم الوضعية}

استئناف الأحكام الشرعية التي يصدرها القضاة المسلمين تنفيذاً للشريعة الإسلامية وأحكامها يستأنفها

ـ لمعرفة فحوى الفتوى يراجع تاريخ الأستاذ الإمام: ٦٧٦/٧.

ـ محمد الطاهر ابن عاشور: ١٠٥، ١٠٢.

ـ وقد أفضى رجال جمعية العلماء في الرد على الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ولا سيما الشيخ عبد الحميد ابن باديس، والشيخ العربي التبسي، والشيخ البشير الإبراهيمي الذي رد عليه في مقاله الشهير في جريدة البصائر تحت عنوان (أشيخ الإسلام هو أم شيخ المسلمين). جريدة البصائر، ع ١:٢٠، ١/١٢.

ـ لمزيد من الإطلاع على فتوى علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ينظر: الحركة الوطنية الجزائرية ٧١: بتصرف، ط. ١، ط. ٣: ١٥٨.

ـ نشر هذا الإعلان مرات عديدة في جريدة البصائر ع ٢/١٠٤.

ـ نشرت هذه الفتوى في جريدة البصائر، ع ٢/١٠٤.

ـ ونشرت هذه الفتوى في جريدة البصائر، ع ٩٥/٢-١.

ـ عرضت فتوى الشيخ ابن باديس على لجنة الفتوى بجمعية العلماء فوافقت عليها، وتبنتها مقرة مضمونها مطلقاً. يراجع نص رسالة رئيس المتاجنسين التونسيين بالجنسية الفرنسية في: جريدة البصائر، ع ٦-٥/١٠١ رسالة من متاجنسي تونس، عن (جمعية المسلمين التونسيين) المتاجنسين بالجنسية الفرنساوية الراغبين في الرجوع للجنسية التونسية. توقيع ضياء نوري. مدينة الكاف التونسية.

ـ توضيح إدارة تحرير ولجنة الفتوى بجريدة البصائر: ما أكثر ما سُئلنا عن هذه المسألة العظيمة، وطلب منها الجواب عنها على صفحات البصائر، ومنهم حضرة رئيس المتاجنسين بتونس (الأستاذ التركي)، وكانتنا مرتين بكتابتين مطولتين، فأدینا الواجب الديني بهذه الكتابة، ونحن مع ذلك نحترم كل ذي رأي في رأيه، وكل ذي جنس في جنسه، ونقدر لكل ذي قيمة قيمته، ونعلم أن في أبناء الجزائرين من رفضوا جنسيتها ولم يقصروا في خدمتها نادمين على ما فرطوا وما كانوا لهم ناسين.

ـ وهذه الآن فتوى الشيخ العربي التبسي، وتلتها فتوى الشيخ ابن باديس:

ـ فتوى جمعية العلماء في التجنيس الكلي والجزئي

ـ فضيلة الأستاذ الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي رئيس لجنة الفتوى

ـ حكم الله في التجنس والتوبة منه.

ـ حكم الله في الوصية للورثة على يد الموثق المدني والتوبة منها.

ـ حكم الله في التزوج بغير المسلمين والتوبة منه.

ـ حكم الله في استئناف الأحكام الشرعية للمحاكم المدنية والتوبة منه.

## نص فتوى الشيخ ابن باديس

### (حكم الله في التجنس والتوبة منه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ  
التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام  
الشريعة الإسلامية، ومن رفض حكمًا واحدًا من أحكام  
الإسلام عُدَّ مرتدًا عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد  
 بالإجماع.

والمتجنس - بحكم القانون الفرنسي - يجري تجنسه على  
نسله، فيكون قد جنى عليهم بآخر جهم من حظيرة الإسلام.  
وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه، واثمها متجدد عليه ما  
بقي له نسل في الدنيا خارجاً عن شريعة الإسلام بسبب  
جنايته.

إذا أراد المتجنس أن يتوب فلا بد من إقلاله كما هو  
الشرط اللازم بالإجماع في كل توبة، وإقلاله لا يمكن إلا  
برجوعه للشريعة الإسلامية ورفضه لغيرها. فلما كان القانون  
الإفريقي يبيح جاريأ عليه رغم ما يقول هو من رجوعه،  
إقلاله لا يتحقق عندنا في ظاهر حاله - وهو الذي تجري  
عليه الأحكام بحسبه - إلا إذا فارق البلاد التي يأخذه فيها  
ذلك القانون إلى بلاد تجري عليه فيها الشريعة الإسلامية.  
وقد يكون صادفًا في ندمه فيما بينه وبين الله، ولكننا نحن في  
الظاهر الذي أمرنا باعتباره في إجراء الأحكام لا يمكن أن  
تصدقه وهو لا يزال ملابساً لما ارتد من أجله من أحكام تلك  
الجنسية، ولهذا لا تقبل توبته، ولا تجري عليه أحكام المسلمين.  
والذي يقع عليه القضاء بحكم يتحقق أنه هو حكم  
الشريعة الإسلامية فينسى في نفسه من غيرها هو برفضه  
لذلك الحكم وطلبه لغيره مرتد عن الإسلام.

فتوبة هذا بإقلاله عن طلب الحكم الآخر أو بتنفيذه  
لحكم الإسلام إن كان غيره قد وقع، ومن جعل (الديسظاما)  
- وهي قسمة ماله بين من يشاء بعد موته على غير القسم  
الإسلامي، رافضاً للحكم الإسلامي - فهو مرتد عن الإسلام،  
وتوبته بابطال تلك (الديسظاما) ورجوعه إلى حكم الإسلام.  
ومن تزوج من امرأة من جنسية غير إسلامية فقد ورط  
نسله في الخروج من حظيرة الشريعة الإسلامية الفراء، فإن  
كان راضياً لهم ذلك، ومحترماً لهم على بقائهم في حظيرة  
الشريعة، فهو مرتد عن الإسلام، وإن عليهم ظالم لهم، وإن  
كان غير راض لهم بذلك ولا محترم لهم ذلك على شريعة  
الإسلام، وإنما غالبيته شهوة على ذلك الزواج فهو مرتد  
بجنايته عليهم وظلمه لهم، ولا يخلصه من إثمه العظيم إلا  
إنفاذهم مما أوقعهم فيه بهجرته بهم.

عبد الحميد بن باديس

بعض من لا دين لهم رغبة في الدنيا، وتنصلًا من الأحكام

الشرعية، وجريأً وراء مصلحة النفس.

### ﴿المسألة الثالثة﴾ إنكار حكم المواريث

قسمة بعض الناس أموالهم بوصايا يتعلمونها تنفذ بعد  
ماتتهم، يعطون فيها من يشاورون من ورثتهم ويمعنون من  
يشاورون بحكم الهوى، واعتقاد أن ما يفعلونه من هذه القسمة  
الجائرة عدل، وأن قضاء الله في المواريث جور، وما درى هؤلاء  
الضاللون أنهم بفعلتهم تلك قد فروا من حكم الله إلى هوى  
نفوسهم.

ومعلوم بالضرورة أن الوصية في هذا الباب باطلة شرعاً  
محرم تنفيذها، وكل مال أخذ عملاً بها فهو حرام آخر أخذه  
إثماً لا يقل عن إثم صاحب الوصية.

### ﴿المسألة الرابعة﴾ حكم الزواج بالأجنبيات عن دين الإسلام

الزواج بالأجنبيات عن الإسلام اللائي يعدهن قانون  
دولهن سيدات لأزواجهن قوامات عليهم، واللائي يقضى  
قانون دولهن على أزواجهن إثر وجود عقد النكاح بينهن وبين  
أزواجهن باندماج الزوج في أمّة تلك المرأة، ومفاد ربه للشريعة  
الإسلامية في كل ما له صلة بذلك الزواج، وأشنع من ذلك أن  
ذراته من تلك المرأة يصيرون تبعًا لأمّهم متجمسين تجنسًا  
يقطع الصلة بينهم وبين الشريعة الإسلامية.

فانظر رعاك الله كيف يعني الزوج على نفسه وعلى ذريته  
من بعده وعلى أمته الإسلامية.

فأنت ترى أن هاته المسائل المذكورة لا يأتيها من يؤمن بأن  
ما جاء به محمد حق، وقد كثر السؤال عنها وعن التوبة منها  
من أراد أن يتوب منها، وتساقطت رسائل الاستفتاء على لجنة  
الفتوى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكلفت اللجنة  
رئيس الجمعية بكتابه فتوى في المسائل الأربع، وفي وجهه  
الخروج منها لن أراد التوبة والرجوع إلى دين الإسلام،  
ورغبت منه أن يختصر الفتوى بقدر الإمكان، ويسهل عباراتها  
جهد المستطاع حتى يتأنى لكل سائل فهمها جيداً، وأن يحفظ  
عباراتها إن أراد، وبذلك تكون لجنة الفتوى قد بنت حكم الله  
تعالى في هذه المشكلات، وبلغت ما أمر الله أن تبلغه في هذه  
المسائل المعلومة من الدين بالضرورة، والتي لو عقل أن يدخلها  
الخلاف والتأويل لما جاز أن يبقى في الإسلام أصل أو فرع لا  
يدخله الخلاف، من الدين بالضرورة، والتي لو عقل أن  
يدخلها الخلاف والتأويل لما جاز أن يبقى في الإسلام أصل أو  
فرع لا يدخله الخلاف، وقد عرضت فتوى الاستاذ الرئيس  
على لجنة الإفتاء فأقرتها ووافقت على ما فيها معتقدة أنه  
حكم الله الذي لا يقبل لله من العبد سواه.

رئيس لجنة الفتوى

العربي بن بلقاسم التسي

- ٦٤- بناء النهضة العربية الحديثة.
- ٦٥- ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّ رَسُولَ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ  
يَأْهُلَكَ بِقِطْعَةٍ مِّنَ اللَّيلِ وَلَا يَلْتَقِطُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَكَ إِنَّهُ  
مُصْبِبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصَّبُحُ أَلَيْسَ الصَّبُحُ  
بِقَرْبَيْهِ﴾ (هود: ٨٠).
- ٦٦- ينظر: الصلاة
- ٦٧- مقدمة كتاب أليس الصبح بقربي: ٢.
- ٦٨- أليس الصبح بقربي: ١٦٠.
- ٦٩- أليس الصبح بقربي: ١٨٠.
- ٧٠- أليس الصبح بقربي: ٢١١.
- ٧١- أليس الصبح بقربي: ٢٢٦.
- ٧٢- أليس الصبح بقربي: ٢٥٠.
- والديسظاماً: الكلمة فرنسيّة تعني العهد، أو الميثاق.  
وتتلخص في جملة من الإجراءات القانونية التوثيقية.
- ٥٣- انظر محمد الطاهر ابن عاشور: ١١٤، ١٠٦.
- ٥٤- المصدر نفسه: ١١٥، ١١٤.
- ٥٥- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: ٩-٥ بتصرف.
- ٥٦- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: ٢٥-١١ بتصرف.
- ٥٧- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: ٢٦-٣٦ بتصرف.
- ٥٨- المصدر نفسه: ١٠١.
- ٥٩- المصدر نفسه: ١٢٥.
- ٦٠- المصدر نفسه: ١٨٨.
- ٦١- أليس الصبح بقربي: ٨.
- ٦٢- زعماء الإصلاح في العصر الحديث: ١٥٨.
- ٦٣- ينظر: بناء النهضة العربية الحديثة: ١٢٦.

## المصادر والمراجع

- تاريخ الدولة العربية الكبرى، لأحمد كامل المحامي، دار المعارف، القاهرة.
- ترسیخ الصحافة التونسية، لمحمد ابن قفصية، دار بوسالمة للطباعة، تونس.
- التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح بجامعة الزيتونة، طاهر الحداد، ط١، الدار التونسية للنشر، ١٩٨١.
- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.
- تفكير محمد رشيد رضا، لـ محمد الصالح المراكشي، ط١، الشركة التونسية للنشر، ١٩٨٧ م.
- الحركة الأدبية وال الفكرية في تونس، لـ محمد الفاضل ابن عاشور، الشركة التونسية للنشر، تونس، ط١٩٨٢، ٣ م.
- الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٤٥-١٩٣٠، للدكتور أبو القاسم سعد الله، ط٣، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٦ م.
- حياة كفاح، لتوفيق أحمد المدنى، ط١، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٧٨ م.
- زعماء الإصلاح في العصر الحديث، لأحمد أمين، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١.
- الصراع بين السنة والبدعة، لأحمد حمانى، ط١، مطبعة البعث، قسنطينة، ١٩٨٤ م.
- العروة الوثقى، للأفغاني ومحمد عبده، تج. مصطفى عبد الرازق، دار الكتاب العربي، بيروت.
- القرآن الكريم وتقسيمه
- السنة النبوية وشرحها
- الوثائق والمخطوطات الخاصة، كدفاتر التخرج الزيتونة، ودفاتر إجازات الطلاب الجزائريين المخرجين من جامعة الزيتونة.
- المراجع:
- آثار الشیخ عبد الحمید بن بادیس، للدکتور عمار الطالبی، ط١، دار الیقظة العربیة، بیروت، ١٢٨٨ھ/١٩٦٨م.
- أركان النهضة الأدبية بتونس، لـ محمد الفاضل ابن عاشور، الشركة التونسية للنشر، تونس: ١٢:
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، لـ محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للطباعة والنشر، تونس، ١٩٧٩ م.
- أضواء على تاريخ تونس الحديث ١٩٢٤-١٨٨١، لـ عثمان الشريف بن الحاج، ط١، دار بوسالمة للطباعة والنشر.
- أعلام الجزائر، لـ عادل نويهض، ط١، دار نويهض للطباعة والنشر، بیروت، ١٩٧٩ م.
- أفریقيا الشمالیة تسلیم، لـ جولیان اندریه شارل، ترجمة: محمد مزالی، البشير بن سلامة، نشر الشركة التونسية للتوزیع، تونس، ط١، ١٩٧٦.
- أليس الصبح بقربي، لـ محمد الطاهر ابن عاشور، المصرف التونسي للطباعة، تونس، ١٩٦٧، ١٨٤.
- بناء النهضة العربية الحديثة، لـ جرجی زیدان، دار الهلال د.ت.

**الرسائل العلمية غير المنشورة:**

- الشیخ العربی التبّسی مصلحًا، لأحمد عیساوی، رسالت دکتوراه غیر منشورة، جامعه الجزائر، کلیة أصول الدین، سنه ١٤٢٢ھ / ٢٠٠١م.

**الصحف والمجلات:**

- أشیخ الإسلام هوأم شیخ المسلمين، محمد البشیر الإبراهيمي، جرید البصائر، السنة الأولى، السلسلة الأولى، عدد ٢٠، ٢٠، قسنطينة، الإثنين / ٢٢ ماي / ١٩٣٦م: ١.

- جریدة البصائر، السلسلة الأولى، السنة الثالثة، عدد ١٠٤، الجمعة / ١٦ محرم / ١٢٥٧ھ الموافق / ١٨ مارس / ١٩٣٨م، ص ٢

- جریدة البصائر، السلسلة الأولى، السنة الثالثة، عدد ٩٥، الجمعة / ١٤ جانفي / ١٩٣٨م الموافق / ٢٤ ذي الحجه / ١٢٥٨ھ، رسالت من متجمسي تونس، عن (جمعية المسلمين التونسيين) المتجمسين بالجنسية الفرنساوية الراغبين في الرجوع للجنسية التونسية، توقيع ضیا نور، مدينة الکاف التونسية.

- المجلة الزيتونية عدد ٢، المجلد ٢، السنة ١٩٣٩م.

- مجلة الهلال المصرية، عدد ١٣١، شعبان ١٢٨١ھ فبراير ١٩٦٢م: ١٢٨-١٢٩.

- فجر التنوير العربي الحديث الصلات الثقافية والفكرية بين تونس وأقطار المشرق ١٨٦٤-١٨٨١م، لحفناوي عمايري، دار نقوش عربية، تونس.

- لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، لشکیب أرسلان، مراجعة الشیخ حسن تمیم، ط٢، مکتبة الحیاة، بيروت، دون تاريخ.

- محمد الطاهر بن عاشور، لأبی القاسم الغالی، تونس.

- مختصر تاريخ تونس، لحسن حسني عبد الوهاب، دار بوسالمة للطباعة، تونس، ط٤، ١٩٧٧.

- المذكرات، لمحمد خیر الدین، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج ١.

- المستعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، لجوليان اندریه شارل، تعریف: محمد مزالی، البشیر بن سلامة، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ٤٨.

- معجم تراجم الأعلام التونسيين، لمحمد محفوظ، ط١، مطبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.

- المقالة الصحفية في الجزائر ١٩٣٠-١٩٤٠م، لمحمد ناصر، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.

- النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس سنة ١٩٤٠-١٩٦٠، لأنور الجندي، ط١، دار اليقظة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.

- نهضة الجزائـر الحديثـة، لمحمد علي دبوز، ط١، المطبعة التعاونية، بدمشق، ١٩٧٥م.